فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جَلبته كل ليلةٍ ففقد أبو حنيفة صوته ليلة فسأل عنه فقيل أخذه العَسَسُ منذ ليال وهو محبوس فصلّى أبو حنيفة الفجر وركب بغلته واستأذن على الأمير فلما دخل قال : لي جار إسكافي أخذه العَسَس منذ ليال يأمر الأمير بتخلية سبيله فقال : نعم . وكل من أُخِذ تلك الليلة فتركوا أجمعين وخرج أبو حنيفة والإسكافي يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفةَ Bه مضى إليه وقال : يا فتىَ أضعناك فقال : لا بل حفظتُ ورُعيتُ جزاك ا خيراً عن حُرمة الجِوار ورعاية الحق وتاب ذلك الرجل ولم يعد إلى ما مكان عليه . ولم يكن في أبو حنيفة Bه ما يعاب به غير اللحن فمن ذلك أن ابا عمرو بن العلاءِ المقرىء النحوي ساله عن القَتل بالمِثل هل يوجِب القَود أو لا ؟ فقال : لا كما هو قاعدة أبي حنيفة في مذهبه خلافاً للشافعي فقال لع أبو عمرو : ولوقتله بحجر المنجنيق ؟ فقال له : ولو قتله بأبا قُبيس يعني الجبل المطلّ على مكة وقد اعتذر الناس له وقالوا : قال ذلك على لغة من يعرب الحروفَ الستةَ على أنها مقصورةٌ ومنه قول القائل : .

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها .

وقال عبد ا بن المبارك يمدَح الإمام : .

رأيتُ أبا حنيفةَ كلّ يومٍ ... يَزيدُ نَبالةً ويزيد خُبرا .

ويَنطِقُ بالصَواب ويَصطَفيه ... إذا ما قال أهل الهُجر هُجرا .

وقال فيه أيضاً : .

رأيتُ أبا حنيفة حين يُؤتَى ... ويُطلَبُ عِلمُه بَحرا غَزيرا .

يقايس من يقايسه بلُبٍّ ... فمن ذا تجعلونَ له نظيرا .

كفانا فَقد حمادٍ وكانت ... مُصيبتُنا به أمراً كبيرا .

فردّ شماتة الأعداء عنّا ... وأبدَى بعده علماً كثيرا .

إذا ما المشكلات تدافَعَتها ... رجال العلم كان بها بصيرا .

وقال فيه أيضاً : .

لقد زانَ لبلادَ ومَن عليها ... غمامُ المسلمين أبو حنيفَه .

بآثارٍ وفقهٍ مع حديثٍ ... كآيات الزَبُور على صحيفه .

فما هي في المَشرِقَين له نظيرٌ ... ولا في المغربين ولا بكوفَه .

رأيتُ العائبين له سفاها ... خِلافَ الحق مع حُجَج ضعيفَه .

يبيتُ مشمرا سَهَرَ الليالي ... وصام نهاره حَيفَه .
وصان لسانَه عن كل إفكٍ ... وما زالت جوارِ حُه عفيفه .
يعِفّ عن المَحارِم والمَلاهي ... ومَرضاة الإله له وظيفَه .
فمن كأبي حنيفة في نداه ... لأهل الفَقر في السنة الجحيفة .
وكيف يحلّ أن يؤذَى فقيهٌ ... له في الدين آثارٌ شريفه .
وقد قال ابن غدريسٍ مقالا ... صَحيحَ النَقل في حكمٍ لطيفه .
بأنّ الناسَ في فِقهٍ عِيالٌ ... على فقه الإمام أبي حنيفَه .
وقال غسان بن محمد التميمي : .
وضع القياسَ أبو حنيفة كلّه ... فأتى بأوضَحِ حُجة وقياسِ .
وبَنَى على الآثار رأسَ بِنائِه ... فأتت قواعدُه على الأساس .
والناسُ يتِبعون فيها قولَه ... لمّا استبان ضياؤُه للناس .
وفي أبي حنيفة Bه يقول مساور : .
إذا ما الناسُ يوماً قايسونا ... من الفُتيا بآبدة طريفه .
أتيناهمِ بِمِقياسٍ صحيحٍ ... تِلادٍ من طِراز أبي حنيفَه .
إذا سَمِعَ الفقيه بها وعاها ... وأثبتَها بخيرٍ في صَحيفَه .
فأجابه بعض أصحاب الحديث : .
إذا ذو الرأي خاصَمَ في قياس ... وجاءَ بِبدعَةٍ هَنَةٍ سخيفه .
أتيناهم بقول ا فيها ... وآثارٍ مبرّزة شريفه .
فكَمِ مِن فَرجِ مُحصِنَةٍ عفيفٍ ... أُحِلّ حَرامه بأبي حنيفه .
الخولاني